

الإمام القاضي عياض: حياته وآثاره

Imam al-Qadi Ayad: his life and its effects

أمين بن أحمد انقيرة

جامعة الحسن الثاني الدار البيضاء المغرب

تاريخ النشر	تاريخ القبول	تاريخ الإرسال
22-06-2021	2021-05-29	2021-12-04

**ملخص:** يروم هذا البحث التعريف بعلم من أعلام المدرسة المغربية؛ وهو الإمام القاضي عياض، وقد بين البحث وجه صلة القاضي عياض بالإمام مالك؛ وهي مختصرة في صلتين: صلة المذهب المالكي وصلة القرى والانتساب إلى قبيلة حمير من عرب اليمن، كما تعرض البحث أيضا لبيان المولد والنشأة والوفاة وأسبابها، إلى جانب المشيخة والتلامذة، والآثار العلمية، مع التنبيه على المخطوط منها والمطبوع، وكذا المفقود، مع نكت وتنبهات مستفادة من حياته رحمه الله.

الكلمات المفتاحية: المغرب؛ القاضي عياض؛ حياته؛ آثاره.

#### Abstract:

This research aims to introduce one of the flags of the Moroccan school. He is Imam Al-Qadi Ayadh, and the research showed the relationship of Al-Qadi Ayadh to Imam Malik. It is summarized in two links: the relationship of the Maliki school and the relationship of kinship and affiliation to the Hamir tribe from the Arabs of Yemen, the research also presented to show the birth, upbringing and death and its causes, along with the sheikhs and students, and the scientific effects, with an alert on the manuscript and the publication, as well as the missing, with jokes and learned alerts From his life, may God have mercy on him.

**Keywords:** Morocco, West, sunset; Judge Ayad His life; excitement.

بسم الله الرحمن الرحيم:

المقدمة:

الحمد لله الذي هيا لهذا الدين علماء عاملين، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، ثم الصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد أشرف المرسلين، وعلى آله وصحبه السالكين منهجه القويم، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد فهذا بحث وسمته ب:

**الإمام القاضي عياض: حياته وآثاره**

**خطة البحث وخطواته:**

قد قسمت البحث إلى: مقدمة وسبعة مطالب وخاتمة، ثم فهرس للمصادر والمراجع.

أما المقدمة: فأشرت فيها إلى عنوان الموضوع وخطة البحث.

وأما المطلب الأول: ففي اسم القاضي عياض ونسبه وموطن أجداده، والثاني: في مولده، والثالث: في نشأته ورحلاته وجملته من أخباره، والرابع: في شيوخه وتلامذته، والخامس: في مؤلفاته: المطبوع منها ثم المخطوط والمفقود، والسادس: في وفاته، والسابع: في مكانته العلمية وأقوال العلماء فيه.

أما الخاتمة: فضمنتها أهم النتائج.

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه والتابعين، والحمد لله رب العالمين.

## ترجمة القاضي عياض رحمه الله:

### المطلب الأول: اسمه ونسبه وموطن أجداده:

هو عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن موسى بن عياض بن محمد بن عبد الله بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي.

وهذا النسب هو الذي أثبتته ابن القاضي عياض لأبيه في التعريف، ثم قال بعده:

(وكان أبي رحمة الله عليه يقول: لا أدري هل محمد والد عياض أم بينهما رجل فهو

جده...)

استقر أجدادنا في القديم بالأندلس جهة بسطة، ثم انتقلوا إلى مدينة فاس، وكان لهم استقرار بالقيروان، لا أدري قبل حلولهم بالأندلس أو بعد ذلك، وكان عمرو بن عبد الله بن عياض - رحمه الله على جميعهم - رجلاً فاضلاً صالحاً من أهل القرآن، حج إحدى عشرة حجة، وغزا مع ابن عامر غزوات كثيرة، وانتقل من مدينة فاس إلى مدينة سبتة بعد دخول بني عبيد المغرب، وكان سبب ذلك أنه كان له ولآبائه بمدينة فاس نباهة، فأخذ ابن أبي عامر رهناً من مدينة أعيان فاس، فأخذ فيهم أخوي عمرو بن عيسى والقاسم، فخرج عمرو بن عياض من مدينة سبتة ليقرب من أخبارها بمدينة قرطبة، فاستحسن سكنى مدينة سبتة، وكان موسراً من دنياه فاشتري بها أرضاً وهي المعروفة بالمنارة، فبنى في بعضها مسجداً وهو حتى الآن منسوب إليه، وحبس باقي الأرض للدفن، ولم يزل منقطعا في ذلك المسجد إلى أن مات رحمه الله عليه سنة سبع وتسعين وثلاثمائة، وولد له قبل وفاته ببسيرة ابنه عياض، ثم ولد لعياض ابنه موسى ثم ولد لموسى ابنه عياض أبي رحمة الله عليه وعلى جميعهم فيما رأيت بخطه في النصف من شعبان عام ستة وسبعين وأربعمائة).

قال الأستاذ محمد بن تاوويت الطنجي معلقاً على نسب القاضي عياض:

(وهو نسب يرتفع - كما نرى - إلى يحصب بن مالك بن زيد، ويحصب أخو ذي أصبح الحارث بن مالك بن زيد الذي ينتهي إليه نسب الإمام مالك بن أنس الأصبحي.

وهكذا يمت القاضي عياض إلى الإمام مالك بصلتين:

✓ صلة المذهب المالكي الذي دان به سكان المغرب وما يزالون، وكان عياض من أبرز أعلامه وأشهرهم.

✓ وصلة القري والانتساب إلى قبيلة حمير من عرب اليمن، ذات الصيت الذائع في التاريخ الإسلامي.

ومن المحتمل، ولا نذهب إلى أكثر من الاحتمال، أن يكون لصلة القري هذه - فوق ما للأسباب التي بسطها القاضي في مقدمة (ترتيب المدارك)، و فوق ما لصلة المذهب - أثرها في توجيه القاضي عياض إلى العناية البالغة بحياة الإمام، وإبرازها في إطار من الجلال والبهاء، وفي إصراره على أن يبعد عنها كل ما من شأنه أن يشوب نصوعها، و يחדش في بهائها).

### المطلب الثاني: مولده:

اتفقت معظم المصادر التي ترجمت للقاضي عياض أن مولده كان بسبنة سنة ست وسبعين وأربعمائة، وأصله أندلسي تحول جده إلى فاس ثم سكن سبنة (القاضي أبي علي الصدي معجم أصحاب ص 294).

وهو الذي ذكره ابنه في التعريف، وهو المثبت أيضا من خط القاضي عياض لابن بشكوال رحمه الله كما في الصلة.

قال ابن بشكوال رحمه الله:

(ثم كتب إلي القاضي أبو الفضل بخطه يذكر أنه ولد في منتصف شعبان من سنة ستّ وسبعين وأربع مائة) (الصلة في تاريخ أئمة الأندلس ص 430).

### المطلب الثالث: رحلته وولايته ومنشأ أمره:

رحل [القاضي عياض] إلى الأندلس سنة سبع وخمسائة، فأخذ بقرطبة ومرسية وغيرها، ثم عاد إلى سبنة، فأجلسه أهلها للمناظرة عليه في «المدونة» وهو ابن ثلاثين سنة أو ينيف عليها، ثم جلس للشورى، ثم ولي القضاء، فسار في ذلك حسن السيرة مشكور الطريقة، وبنى الزيادة الغربية في الجامع الأعظم، وبنى بجبل الميناء الرابية الشهيرة، وعظم صيته، ثم نقل إلى غرناطة في أول صفر سنة إحدى وثلاثين وخمسائة، فنقل خطة القضاء

بها، ثم ولى قضاء سبته ثانية، ولما ظهر أمر الموحدين بادر بالمسابقة إلى الدخول في طاعتهم، ورحل إلى لقاء أميرهم بمدينة سلا، فأجزل صلته، وأوجب برّه، إلى أن اضطربت أمور الموحدين عام ثلاثة وأربعين وخمسائة، وحدث على من كان بقصبتها منهم ما هو معلوم من التغلب عليهم واستئصالهم، ثم من رجوع أمورهم، فتلاشت حاله، ولحق بمراكش مشرداً به عن وطنه، فكانت بها وفاته (الإحاطة في أخبار غرناطة 4/189)

### المطلب الرابع: شيوخه وتلامذته:

اجتمع للقاضي عياض رحمه الله تعالى من الشيوخ بين من سمع منه ومن أجاز له مائة شيخ أو يزيدون، وقد كفانا عناء البحث عن شيوخه في كتب التراجم بتأليفه لكتاب الغنية الذي رتب فيه شيوخه المائة وفق حروف الهجاء.

قال رحمه الله في خاتمة كتابه:

(هذه مائة ترجمة، وقد تركنا جماع من لقيناهم وذاكرناهم وحضرنا مجالس نظرهم من الفقهاء والرواة ممن لم نحمل عنهم الكتب ولا الحديث اقتصاراً على ما ذكرناه، وبالله تعالى التوفيق وهو تعالى يرحم الجميع برحمته) (الغنية في شيوخ القاضي عياض ص 227).

وهذه بعض أسماء شيوخه منهم:

- ✓ عبد الله بن إدريس بن سهل المقرئ المقعد أبو محمد: قرأ عليه رحمه الله القرآن برواية نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر بطرقها (الغنية في شيوخ القاضي عياض ص 157).
- ✓ الفقيه القاضي أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد بن عبد العزيز بن حمدين التغلبي: سمع عليه الموطأ برواية يحيى بن يحيى الليثي، وقرأ عليه بعض رسائله وردوده على الغزالي وغير ذلك (الغنية في شيوخ القاضي عياض ص 46).
- ✓ الفقيه القاضي الشهيد أبو عبد الله محمد بن أحمد بن خلف بن إبراهيم التجيبي ابن الحاج: قرأ عليه في داره بقرطبة جميع كتاب غريب الحديث لأبي محمد بن قتيبة، وعارض كتابه بكتابه.
- ✓ الإمام أبو عبد الله محمد بن علي بن عمر التميمي المازري مستوطن المهديّة: أجازة تواليفه، ومنها المعلم في شرح مسلم (الغنية في شيوخ القاضي عياض ص 47).

✓ الفقيه أبو إسحاق إبراهيم بن جعفر بن أحمد اللواتي يعرف بابن الفاسي: صحبه كثيراً وقرأ عليه غير شيء، من ذلك: الموطأ رواية يحيى بن يحيى الليثي، وشرح غريب الحديث لأبي عبيد القاسم بن سلام، والملخص للقاسي.

✓ الشيخ الصالح أبو علي الحسن بن علي بن طريف النحوي التاهرتي: درس عليه كثيراً من كتب الأدب والنحو وقرأ عليه كتاب علوم الحديث للحاكم أبي عبد الله، وغير ذلك.

✓ هشام بن أحمد الفقيه أبو الوليد القرطبي المعروف بابن العواد: قرأ عليه في داره جميع كتاب المصنف لأبي داود السجستاني في السنن، ورسالة أبي محمد ابن أبي زيد وكتاب الأربعين حديثاً للأجري وغير ذلك (الغنية في شيخ القاضي عياض ص 218).

أما تلاميذه فمنهم: (شجرة النور الزكية في طبقات المالكية 205)

- ✓ ابنه محمد.
- ✓ وابن غازي.
- ✓ وابن زرقون.
- ✓ وابن مضاء.
- ✓ وأبو القاسم بن ملجوم.
- ✓ وأبو عبد الله التادلي.
- ✓ والقاضي أبو عبد الرحمن القصير.
- ✓ والقاضي أبو عبد الله بن عطية.

#### المطلب الخامس: مؤلفاته:

لقد خلف القاضي عياض رحمه الله تراثاً زاخراً بلغ نحو من الثلاثين أو يزيد، يقع بعضه في مجلدات متعددة وأجزاء كثيرة؛ منها ما طبع ومنها ما زال مخطوطاً ومنها ما هو في عداد المفقود، وقد حاول كل من ترجم له أن يذكر جملة من مؤلفاته ولكن لم يستقص أحد منهم عددها حتى جاء أخيراً الأستاذ محمد بن تاويت الطنجي فاستقصى أسماءها من مختلف المصادر والمراجع، وقام بترتيبها على حروف المعجم ضمن المقدمة التي صدر بها الجزء الأول من كتاب «ترتيب المدارك وتقريب المسالك» للقاضي عياض، وقد بلغ عددها اثنين وثلاثين كتاباً.

وفيما يأتي نعرض على المطبوع منها ثم المخطوط ثم نذكر بقية المؤلفات إجمالاً.

### أولاً: المطبوع:

- (1) الإعلام بحدود قواعد الإسلام: حققه وقدم له الأستاذ محمد بن تاويت الطنجي رحمه الله، وطبعته وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، وهو كتاب صغير الحجم، ألفه القاضي عياض رحمه الله للناشئة المتعلمين، وهو شرح لقواعد الإسلام الخمسة.
- (2) إكمال المعلم بفوائد مسلم: وهو شرح على صحيح الإمام مسلم بن الحجاج، كمل به شرح أبي عبد الله محمد بن علي المازري المسمى بالمعلم بفوائد مسلم، وقد حققه الدكتور يحيى إسماعيل، وطبعته دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع بمصر في ثمانية أجزاء سنة 1998 م.
- (3) الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع، حققه السيد أحمد صقر، وطبعته: دار التراث / المكتبة العتيقة - القاهرة / تونس في جزء واحد سنة 1379 هـ - 1970 م.
- (4) بغية الرائد لما تضمنه حديث أم زرع من الفوائد: يعتبر هذا الكتاب من أوفى الشروح لهذا الحديث، وقد طبعته وزارة الأوقاف الإسلامية عام 1395 هـ - 1975 م بتحقيق صلاح الدين أحمد الإدلبي ومحمد الحسن أجانف ومحمد عبد السلام الشراوي، وطبع ثانياً في دار الكتب العلمية بيروت.
- (5) ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك: وقد قام بتحقيقه مجموعة من الباحثين، فالجزء الأول: حققه ابن تاويت الطنجي، والجزء الثاني والثالث والرابع: حققه عبد القادر الصحراوي، والجزء الخامس: حققه محمد بن شريفة، والجزء السادس والسابع والثامن: حققه سعيد أحمد أعراب.
- ويعد ترتيب المدارك موسوعة في أعلام المالكية، وقد بلغ عدد من ترجم له فيه 1596، وخصص جزئه الأولين للإمام مالك.
- (6) التَّبَيُّهَاتُ الْمُسْتَنْبَطَةُ عَلَى الْكُتُبِ الْمُؤَوَّنَةِ وَالْمُخْتَلَطَةِ: حققه: الدكتور محمد الوثيق، والدكتور عبد النعيم حميتي، وطبعته: دار ابن حزم، بيروت - لبنان سنة 1432 هـ - 2011 م.

(7) الشفا بتعريف حقوق المصطفى صلى الله عليه وسلم: وقد طبع هذا الكتاب مرات عديدة، وهذا المؤلف قد أبدع فيه رحمه الله كل الإبداع وسلم له أكفاؤه كفايته فيه ولم ينازعه أحد في الانفرادية.

قال سعيد بن سعيد بن أحمد المقري رحمه الله: (ما ألف في الملة المحمدية مثل كتاب الشفا للقاضي عياض، وحرز الأمانى للشيخ القاسم الشاطبي). (أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض 271/4)

ويرحم الله القائل:

كلهم حاولوا الدواء ولكن ما أتى بالشفاء إلا عياض.

(8) الغنية فهرست شيوخ القاضي عياض، حققه ماهر زهير جرار، وطبعته دار الغرب الإسلامي سنة 1402 هـ - 1982 م.

(9) مذاهب الحكام في نوازل الأحكام: حققه وعلق عليه الدكتور محمد بن شريفة، وطبع بدار الغرب الإسلامي.

(10) مشارق الأنوار على صحاح الآثار في تفسير غريب حديث الموطأ والبخاري ومسلم وضبط الألفاظ والتنبيه على مواضع الأوهام والتصحيقات وضبط أسماء الرجال، وقد طبع هذا الكتاب لأول مرة على يد السلطان مولاي عبد الحفيظ سنة 1328 هـ ثم أعادت وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية طبعه سنة 1982م.

يقول الأستاذ بن تاويت الطنجي عن هذا الكتاب:

(وهو من أقوم ما خلف القاضي عياض رحمه الله، درس فيه الموطأ، وصحيح البخاري، وصحيح مسلم، عمد إلى كلمات المتن وأسماء الأماكن والرجال وكناهم وألقابهم، فرتب كل ذلك على حروف المعجم، ثم شرع في عمله، فضبط متونها وصححها على الأصول، ونبه على رواياتها المختلفة، وأشار إلى الصواب أو الأرجح منها، اعتماداً على المقارنة بين الروايات ومتون اللغة، واستفادة من دراسات السلف التي سبقته، واعتماداً بعد هذا كله على استقصائه وكثرة بحثه.

ثم أفرد فصلاً لأسماء الأمكنة فضبطها، وكذلك فعل في الأسماء والألقاب والكنى والأنساب الواردة في أسانيد هذه الكتب الثلاثة المذكورة، وعاد فعرض إلى ما وقع في كل فصل من هذه الفصول من تصحيف وتحريف يقومه وينبه على الصواب فيه، وختم هذا العمل المعجز

بشرح وجيز لغريب كلمات الكتب الثلاثة) (مقدمة تحقيق ترتيب المدارك ص: كو، وقد طبع أيضا مؤلف ينسب للقاضي عياض، حققه محمد عثمان الخشت، بعنوان: الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم معانيها أحكامها فضائلها، وطبعته مكتبة المختار الإسلامي بالقاهرة.)

### ثانيا: المخطوط:

- ✓ خطب عياض: قال الأستاذ حسن الوركالي: (إنه قد عثر مؤخراً على بعض خطب عياض، ولا يستبعد أن تكون مما كان يشتمل عليه كتاب خطبه. وقال: تنظر هذه الخطب تحت رقم: 79 من مخطوطات جائزة الحسن الثاني لسنة 1979، كما عثر على مجموعة خطب جمعية لعياض ضمن محتويات مكتبة التقي الفاسي بسطات، والظن كذلك أنها مما كان يحتوي عليه كتاب خطبه). (أبو الفضل عياض السبتي: ص 21)
- ✓ المعجم في ذكر أبي علي الصديقي وأخباره وشيوخه وأخبارهم: (وقد نص الأستاذ عبد السلام شقور (القاضي عياض الأديب ص: 112) على وجود نسخة مخطوطة من الكتاب في إحدى قوائم المخطوطات في إحدى المكتبات الجزائرية تحت رقم: 58).
- ✓ الفنون الستة في أخبار سبته: يفهم من إشارة للشيخ أحمد بن الصديق في كتابه: جؤنة العطار في طرف الفوائد ونوادر الأخبار ج 1 ص 3 أنه وقف على الكتاب.

### ثالثا: المفقود:

وهذه بقية مؤلفات القاضي عياض، وقد ذكرها جميعا الأستاذ بن تاويت وذكر المصادر التي ذكرتها، وهي كما يلي:

- ✓ الأجوبة المحبرة عن المسائل المتخيرة.
- ✓ أجوبته فيما نزل في أيام قضاؤه من نوازل الأحكام.
- ✓ أجوبة القرطبيين.
- ✓ أخبار القرطبيين.
- ✓ اختصار شرف المصطفى.
- ✓ تاريخ المرابطين.
- ✓ الجامع في التاريخ.
- ✓ سر السراة في آداب القضاة.

- ✓ كتاب سوالات وترسيل.
- ✓ السيف المسلول على من سب أصحاب الرسول.
- ✓ العيون الستة في أخبار سبتة.
- ✓ غريب الشهاب.
- ✓ غنية الكاتب وبغية الطالب في الصدور والترسيل.
- ✓ مسألة الأهل المشترط بينهم التزاور.
- ✓ مطامح الأفهام في شرح الأحكام.
- ✓ المقاصد الحسان فيما يلزم الإنسان.
- ✓ نظم البرهان على صحة جزم الأذان

### أشعار القاضي عياض:

وللقاضي عياض رحمه الله شعر كثير نقتصر على ذكر بعضه (الإحاطة في أخبار غرناطة 190)

أعوذ بربي من شر ما      يخاف من الإنس والجنه  
وأسأله رحمة تقتضي      عوارف توصل بالجنه  
فما للخلائق من ناره      سوى فضل رحماه من جنه

وهناك بعض الأشعار الأخرى ذكرها صاحب الإحاطة.

### خطب القاضي عياض:

ومن خطبه، وكان لا يخطب إلا بإنشائه:

الحمد لله الذي سبق كل شيء قدما، ووسع كل شيء رحمة وعلما ونعما، وهدى أوليائه طريقا نهجا أمما، و (أَنْزَلَ عَلَيَّ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا (1) قِيمًا لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا

مَنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا (2) مَا كُنْتُمْ فِيهِ أَبَدًا) [سورة الكهف آية 1-3] أحمدته على مواهبه، وهو أحق من حمد، وأسأله أن يجعلنا أجمع، ممن حظي برضاه وسعد، وأستعينه على طاعته، فهو أعز من استعين واستتجد، وأستهديه توفيقا، فإن: (مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا) [سورة الكهف آية 17]، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة فاتحة لأقفال قلوبنا، راجحة بأثقال ذنوبنا، منزهة له عن التشبيه والتمثيل بنا، (وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا) [سورة الجن آية 3]، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أنزل عليه الفرقان، وبعثه بالهدى والإيمان، وأغزى بدعوته دعوة أولياء الشيطان، وأبعدهم مقاعد عن السمع، (فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا) [سورة الجن آية 9].

أيها السامع، قد أيقظك صرف القدر من سنة الهوى وتياراته، ووعظك كتاب الله بزواجه وعظاته، فتأمل حدوده، وتدبر محكم آياته، (وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدَّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُتْتَحِدًا) [سورة الكهف آية 27].

أين الذين عتوا على الله، وتعظّموا واستطالوا على عباده وتحكّموا، وظنّوا أنه لن يقدر عليهم حتى اصطلموا، (وَتِلْكَ الْأَفْرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا) [سورة الكهف آية 58]، غرهم الأمل وكواذب الظنون، وذهلوا عن طوارق القبر وريب المنون، (وَضُنُّوا أَنَّهُمِ الْإِنَّا لَا يُرْجَعُونَ) [سورة القصص آية 39]، (حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضَعَفَ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا) [سورة الجن آية 24] فهذبوا رحمكم الله سراركم بتقوى الله واخلصوا، واشكروا نعمته، (وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا) [سورة إبراهيم آية 36 وغيرها]، واحذروا نعمته وانقوه، ولا تعصوا، واعتبروا بوعيده، (قُلْ كُلُّ مُتَرَبِّصٍ فَتَرَبِّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَى) [سورة طه آية 134]، وأنهضوا لطاعته الهمم العاجزة، واركضوا في ميدان التقوى، وحوزوا قصب خصله العابرة، وادخروا ما يخلصكم يوم المحاسبة والمناجزة، وانتظروا قوله: (وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاَهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا) [سورة الكهف آية 46]، وذلك يوم تذهل فيه الألباب، وترجف القلوب رجفا، وتبدل الأرض وتتسف الجبال نسفا، ولا يقبل الله فيه من الظالمين عدلا ولا صرفا، (وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا) [سورة طه آية

[100]، (وَعَرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا ) [سورة الكهف آية 47]، اللهم انفعنا بالكتاب والحكمة، وارحمنا بالهداية والعصمة، وأوزعنا شكر ما أوليت من النعمة، (رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا) [سورة الكهف آية 10]. (الإحاطة في أخبار غرناطة 4 / 193).

وقد ذكر شهاب الدين أحمد المقرئ التلمساني خطبة أخرى لعياض يوري فيها بأسماء السور ثم قال بعدها معلقاً:

(وممن نسبها للقاضي عياض الشيخ أبو عبد الله محمد ابن الشيخ أبي العباس أحمد بن أبي جمعة الوهراني، وفي نفسي من نسبتها له شيء؛ لأن نفس القاضي في البلاغة أعلى من هذه الخطبة، والله تعالى أعلم). (نوح الطيب من غصن الأندلس الرطيب 7 / 333-334).

### المطلب السادس: وفاته:

اختلفت كتب التراجم في تاريخ وسبب موت القاضي عياض:

فمحمد بن عياض ذكر في التعريف أن القاضي عياض رحمه الله توفي في ليلة الجمعة نصف الليلة التاسعة من جمادى الآخرة، ودفن بمراكش في باب ايلان داخل السور سنة أربع وأربعين وخمسمائة.

ونحوه عند ابن خلكان وابن فرحون مع خلاف في اليوم والشهر:

فابن خلكان ذكر يوم الجمعة سابع جمادى الآخرة، وذكر قولاً آخر وهو شهر رمضان (وفيات الأعيان 3 / 485)

وابن فرحون: ذكر أنه شهر جمادى الآخرة، ولم يحدد يوماً منه، وذكر قولاً آخر وهو شهر رمضان (الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب 2 / 51)

وذكر ابن بشكوال أن وفاته وسط سنة أربع وأربعين وخمسمائة. (الصلة في تاريخ أئمة الأندلس لابن بشكوال ص 430).

والأظهر في ضبط تاريخ وفاته ما قاله ابنه لكونه الأقرب إليه.

وإذا كان الإجماع على تاريخ وفاته ودفنه بمراكش، فإن ابن كثير رحمه الله قد خرج عن هذا الإجماع عندما قال:

ومات بمدينة سبتة (البداية والنهاية 12 / 280).

### أما عن سبب وفاته:

فقيل: إنه مات مسموماً سمه يهودي (الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب 2 / 51)

وقيل: توفي رحمه الله بمراكش مغرباً عن وطنه، قاله ابن بشكوال (الصلة في تاريخ أئمة الأندلس لابن بشكوال ص 430)

وقال الذهبي: بلغني أنه قتل بالرماح؛ لكونه أنكر عصمة ابن تومرت. (سير أعلام النبلاء 20 / 217)

وقال صاحب المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا: قال بعضهم: سم ابن العربي، وخنق اليحصبي. (تاريخ قضاة الأندلس ص 95)

### **المطلب السابع: مكانته العلمية وأقوال العلماء فيه:**

قال ولده في تأليفه النبيل: (نشأ على عفة وصيانة، مرضي الخلال، محمود الأقوال والأفعال، موصوفاً بالتبّل والفهم والحدق، طالبا للعلم حريصاً عليه مجتهداً فيه، إلى أن برع في زمانه، وساد جملة أقرانه، وبلغ من التفنن في فنون العلم ما هو معلوم، فكان من حفاظ كتاب الله تعالى القائمين عليه، مع القراءة الحسنة المستعذبة، والصوت الجهير، والحظ الوافر من تفسيره وجميع أنواع علومه، وكان من أئمة وقته في الحديث، أصولياً متكلماً، فقيهاً حافظاً للمسائل، عاقداً للشروط، بصيراً بالفتيا والأحكام والنوازل، نحوياً، رياناً من الأدب، شاعراً مجيداً، كاتباً غالباً، بليغاً، خطيباً، حافظاً للغة والأخبار والتواريخ، حسن المجلس، نبيل النادرة، حلو الدّعابة،

صبورا، حليما، جميل العشرة جوادا، سمحا، كثير الصدقة، دروبا على العمل، صلبا في الحق). (التعريف و الإحاطة في أخبار غرناطة 4 / 188-189).

وقال أبو جعفر الضبي عنه: (فقيه محدث عارف أديب). (بغية الملتبس في تاريخ رجال أهل الأندلس ص 437)

وقال الذهبي: (قَالَ الْفَقِيهَ مُحَمَّدَ بْنَ حَمَّادِ السَّبْتِيِّ: كَانَ هَيِّنًا مِنْ غَيْرِ ضَعْفٍ، صَلْبًا فِي الْحَقِّ،..وَحَازَ مِنَ الرَّئَاسَةِ فِي بَلَدِهِ وَالرَّفْعَةَ مَا لَمْ يَصِلْ إِلَيْهِ أَحَدٌ قَطُّ مِنْ أَهْلِ بَلَدِهِ، وَمَا زَادَهُ ذَلِكَ إِلَّا تَوَاضَعًا وَخَشْيَةَ اللَّهِ -تَعَالَى-). (سير أعلام النبلاء 20 / 214-215).

وقال المقري في أزهار الرياض: وكان القاضي أبو الفضل عياض - رحمه الله - حسن الإلقاء للمسائل، كثير التحرير للنقول، وقد انتفع به من العلماء ما لا يحصى، قال ابن خاتمة: كان لا يبلغ شأوه، ويدرك مداه في العناية بصناعة الحديث، وتقييد الآثار، وخدمة العلم، مع حسن التفنن فيه، والتصرف الكامل في فهم معانيه، إلى اضطلاع بالآداب، وتحقيقه بالنظم والنثر، ومهارته في الفقه، ومشاركته في اللغة العربية، وبالجملة فكان جمال العصر، مفخر الأفق، وينبوع المعرفة، ومعدن الإفادة، وإذا عدت رجالات المغرب، فضلا عن الأندلس، حسب فيهم صدرا. انتهى، وإنما يعرف الفضل لأهل الفضل ذووه أهل الفضل، وكان رحمه الله تعالى معظما للسنة، عالما عاملا، خاشعا قانتا، قولا للحق، لا يخاف في الله تعالى لومة لائم، وكان رحمة الله معنتيا بضبط الألفاظ النبوية على اختلاف طرقها، وكتابه " المشارق " أركى شاهد على ذلك، وكان رحمه الله حاضر الجواب حاد الذهن، متوقد الذكاء جامعا للفنون آخذا منها بالخط الأوفر، وكان القاضي أبو الفضل عياض رحمه الله بارع الخط المغربي، وقد وقفت على خطه رحمه الله، فرأيت خطأ رائقا، وكان سريع الوضع، ويدل على ذلك كثرة أوضاعه، وكتب مع ذلك كتبا كثيرة بيده، وكان رحمه الله تعالى حسن العبارة لطيف الإشارة، وتأليفه شاهدة بذلك، وله في الفقه المالكي اليد الطولى، وعليه المعول في حل ألفاظ المدونة وضبط مشكلاتها، وتحرير رواياتها، وتسمية رواتها، وتحقيق ذلك أنه جمع بين شرح المعاني

وإيضاحها، وضبط الألفاظ، وذكر من رواها من الحفاظ) (أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض 3/ 21-19).

### الخاتمة:

خلصت في الخاتمة إلى ما يلي:

- أن نسب القاضي عياض: هو عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن موسى بن عياض بن محمّد بن عبد الله بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي.
- أن القاضي عياض يمت إلى الإمام مالك بصلتين: صلة المذهب المالكي وصلة القرى والانتساب إلى قبيلة حمير من عرب اليمن.
- أن مولده كان بسببة سنة ست وسبعين وأربعمائة، وأصله أندلسي تحول جده إلى فاس ثم سكن سببة، ووفاته في ليلة الجمعة نصف الليلة التاسعة من جمادى الآخرة سنة أربع وأربعين وخمسمائة، ودفنه بمراكش في باب ايلان داخل السور.
- أن كتب التراجم اختلفت في ذكر سبب وفاة القاضي عياض، فمن قائل: أنه مات مغرباً، وآخر: أنه قتل، وقيل: سمه يهودي، وقيل: خنق، وليس في ذلك شيء يعتمد عليه، والعلم عند الله تعالى.
- أن القاضي عياض نشأ في بيت علم ودين، فابتدأ كعادة غيره من العلماء بحفظ القرآن الكريم وإتقانه بالقراءات المتواترة، ثم طلب الفقه والحديث وغيرهما، وتتلّمذ على جلة من العلماء والفقهاء في عصره.
- أن شيوخ القاضي جاوزوا المائة مما يدل على عنايته بالتلقي على المشايخ المتقنين في مختلف العلوم والفنون، وقد خصص لهم كتاباً في التعريف بهم سماه الغنية، ومنهم: عبد الله بن إدريس بن سهل المقرئ وأبو علي الحسن بن علي بن طريف النحوي التاهرتي و أبو إسحاق إبراهيم بن جعفر بن أحمد اللواتي وغيرهم.
- أن القاضي عياض رحمه الله تتلمذ عليه جملة من العلماء منهم: ابنه محمد وخلف بن بشكوال وابن غازي وغيرهم.
- أن القاضي عياض تقلّد خطّة القضاء بغرناطة مرة واحدة وبسببة مرتين.

- أن مؤلفات القاضي عياض رحمه الله جاوزت الثلاثين مؤلفا: المطبوع منها -فيما نعلم- إحدى عشر مؤلفا، والمخطوط ثلاثة، والباقي مفقود، والله تعالى أعلم.
- وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه والتابعين، والحمد لله رب العالمين.

فهرس المصادر والمراجع:

-القرآن الكريم.

- ✓ أبو الفضل القاضي عياض السبتي ثبت ببليوغرافي، للدكتور حسن الوراكلي، دار الغرب الإسلامي بيروت لبنان، الطبعة: 1994.
- ✓ الإحاطة في أخبار غرناطة لمحمد بن عبد الله بن سعيد السلماني اللوشي الأصل، الغرناطي الأندلسي، أبو عبد الله، الشهير بلسان الدين ابن الخطيب، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، 1424 هـ.
- ✓ أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، لشهاب الدين أحمد بن محمد بن أحمد بن يحيى، أبو العباس المقري التلمساني، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الإبياري وعبد العظيم شلبي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة، عام النشر: 1358 هـ - 1939 م، ثم طبع الجزء 4 و5 صندوق إحياء التراث الإسلامي المشترك بين المملكة المغربية، ودولة الإمارات المتحدة - الرباط، بتحقيق سعيد أحمد أعراب - محمد بن تاويت - عبد السلام هراس.
- ✓ البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ)، المحقق: علي شيري، الناشر: دار إحياء التراث العربي، الطبعة: الأولى 1408، هـ - 1988 م.
- ✓ بغية الملتبس في تاريخ رجال أهل الأندلس، المؤلف: أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة، أبو جعفر الضبي، الناشر: دار الكاتب العربي - القاهرة، عام النشر: 1967 م.
- ✓ تاريخ قضاة الأندلس (المراقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا)، أبو الحسن علي بن عبد الله بن محمد بن محمد ابن الحسن الجذامي النباهي المالقي الأندلسي (المتوفى: نحو 792هـ)، المحقق: لجنة إحياء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة، الناشر: دار الآفاق الجديدة - بيروت/لبنان، الطبعة: الخامسة، 1403 هـ - 1983 م.

- ✓ تذكرة الحفاظ لشمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، دار الكتب العلمية بيروت-لبنان، الطبعة: الأولى، 1419هـ - 1998م.
- ✓ ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، للقاضي عياض، تحقيق: مجموعة من الباحثين، الجزء 1: حققه ابن تاويت الطنجي، والجزء 2، 3، 4: حققه عبد القادر الصحراوي، والجزء 5: حققه محمد بن شريفة، والجزء 6، 7، 8: حققه سعيد أحمد أعراب، الناشر: مطبعة فضالة - المحمدية، المغرب، الطبعة: الأولى.
- ✓ التعريف بالقاضي عياض لولده أبي عبد الله محمد، تقديم وتحقيق الدكتور محمد بن شريفة، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية والثقافة.
- ✓ الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب لإبراهيم بن علي بن محمد، ابن فرحون، برهان الدين اليعمري، تحقيق وتعليق: الدكتور محمد الأحمد أبو النور، الناشر: دار التراث للطبع والنشر، القاهرة.
- ✓ سير أعلام النبلاء، لشمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (ت: 748هـ)، حققه مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة: 1405 هـ / 1985 م.
- ✓ شجرة النور الزكية في طبقات المالكية لمحمد بن محمد بن عمر بن علي ابن سالم مخلوف، علق عليه: عبد المجيد خيالي، الناشر: دار الكتب العلمية، لبنان، الطبعة: الأولى، 1424 هـ - 2003 م.
- ✓ الصلة في تاريخ أئمة الأندلس لأبي القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال، عني بنشره وصححه وراجع أصله: السيد عزت العطار الحسيني، الناشر: مكتبة الخانجي، الطبعة: الثانية، 1374 هـ - 1955 م.
- ✓ طبقات المفسرين للداوودي لمحمد بن علي بن أحمد، شمس الدين الداوودي المالكي، دار الكتب العلمية - بيروت، راجع النسخة وضبط أعلامها: لجنة من العلماء بإشراف الناشر.
- ✓ فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشیخات والمسلسلات لمحمد عبْد الحَيّ بن عبد الكبير ابن محمد الحسني الإدريسي المعروف بعبد الحي الكتاني تحقيق: إحسان عباس، الناشر: دار الغرب الإسلامي - بيروت، الطبعة: 2، 1982.
- ✓ لسان العرب لأبي الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (ت 711هـ) - دار صادر بيروت - الطبعة الثالثة: 1414 هـ.

- ✓ معجم أصحاب القاضي أبي علي الصدفي لابن الأبار، محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلسي، مكتبة الثقافة الدينية - مصر، الطبعة: الأولى، 1420 هـ - 2000م.
- ✓ نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، لشهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني، تحقيق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر - بيروت - لبنان.
- ✓ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي، تحقيق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر - بيروت.